ذكرُ بعض اعتراضات الواشي وردُّها

منها قوله أن قسّيسي هذا الزمان ليسوا بدجّالين. ثم بعد ذلك حثَّ الحكومة البرطانية على إيذائي، ويشير إلى أن هذا الرجل يعتقد أن هذه الدولة هي الدجال المعهود وأنه من الباغين.

أما الجواب فاعلم أننا لا نسمي الدولة البريطانية دجالا معهودا، بل نعلم ونستيقن أن هذه الدولة محققة عاقلة مفكرة في حقائق الموجودات، وقد رزقها الله من العلم والحكمة والفلسفة وأنواع الصناعات، وحفّتْ بها لمعاتُ المعقولات، فهي تعرف الترهات، وتفضّ خَتْمَ سرِّ المزوّرات، وليست من الذين يرضون بالهذيانات. فكيف يمكن أن تؤمن بهذه الخرافات، بل تحسبها كسَمْرٍ لا أصل له أو كطَيفٍ مركَّب من الخزعبلات، ومع ذلك لا ميل لها أصلاً إلى الدينيات. وفتَن قلبها حبُّ الدنيا وشوق الحكومات، فهي غريقة في دنياها من الرأس إلى القدم في كل الخطوات، ولا تميل إلى دين، وإذا مالت فإلى الإسلام، فلا تقبل إلا هذا الدين وملة خاتم النبيين. وإنا نرى أنها ترمُقه بعين المحبّ وليست على الضلالة كالمكبّ، بل تزجي أيامها في التدبر، ولا تعرض كالمتكبر، وإني أجد آثار رشدها، وأظن أنها ستميل إليه ولا يتركها الله في الغافلين الضالين. وقد دخل من علمائهم في ديننا طائفة من شبان رُوقة وشارة مرموقة، وآخرون منهم يكتمون إيمانهم إلى حين. وإنا نرى أن ملكتنا المكرمة مرجوّة

الاهتداء، وقد أعطيتْ لقلبها حبّ الإسلام وشوق هذا الضياء، وعسى أن يُدخل الله نور توحيده في قلب هذه الملكة الزهراء وقلوب أبنائها العقلاء، وليس على الله بعزيز، بل قدرته صالحة لهذه النور، وهو على كل شيء قدير، وإنه يجذب إليه قلوب الطالبين.

وكذلك نرى أن أعاظم أركان الدولة يميلون إلى التوحيد يوما فيوما، وقد نفرت قلوبهم من مثل هذه العقائد الباطلة، ولا يليق بشأنهم أن يعبدوا بشرًا مثلهم في الضعف واللوازم الإنسانية، وكيف وقد أعطاهم الله أنواع العلوم وحظًّا وافرًا من الفهم والعقل، ولا نجد في محققي هذا القوم رجلا يرضى بهذه الأباطيل إلا نادرا كالشعرة البيضاء في اللّمّة السوداء، وإني أعلم أنهم بَيْضُ الإسلام، وستخرج منهم أفرُخُ هذه الملّة، وستُصرَف وجوههم إلى دين الله. إنهم قوم يفتّشون كل أمر، ولا يغضّون الطرف من الحق الذي حصحص، ولا يَتَّئِبون من قبول الحق ويطلبون ولا يلغبون، ومن طلب فوجد ولو بعد حين.

وأما ما خوّف الواشي المزورُ الحكومةَ البريطانية عن بغاوتنا فما هذا إلا وِشاء وشَتْمٌ، وليس على سِرِّنا ختمٌ، والدولة أعرَفُ من هذا الواشي وهي ابن الأيام، وبيتنا عندها في هذه النواح عَلَمُ الأعلام، وتعلم رعاياها طبقًا عن طبق، فلا يخفى عليها غرضُ هذا الواشي وليس بمستور عليها سرُّ فزعه ومقصد جزعه، بل هي تعلَم حق العلم أمثالَه الذين يريدون مخاتلة الحكّام مِن سَورة تعصُّبهم وفورة عداوتهم

وفساد فطراتهم، وما في وعائهم إلا سمّ الفساد، وما في قلبهم إلا مقت الارتداد. أعرضوا عن المهيمن وجلاله، وعثوا في الأرض مفسدين.

وقد كتبْنا غير مرة أنا نحن من نصحاء الدولة ودواعي خيرها، وكيف وقد جبر الله مصائبنا بها، وأزال بها مرارة حياتنا. وكنا في أرضٍ مَحْياةٍ، فأُهلكَ بها كلُّ حيّة كانت حولنا، وإن لها علينا إحسانا عظيما فلن ننسى إحسانها، وإنا من الشاكرين.

وأما ما ذكر هذا الواشي قصةَ جهاد الإسلام، وتظنّى أن القرآن يحثّ على الجهاد مطلقا من غير شرط من الشرائط، فأيُّ زور وافتراء أكبرُ من ذلك إن كان أحد من المتدبرين؟ فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلا بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به ويدخلوا في دينه ويطيعوه في جميع أحكامه ويعبدوه كما أُمروا. والذين يقاتلون بغير الحق ويُخرجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم ويُدخلون الخَلق في دينهم جبرًا وقهرًا، ويريدون أن يطفئوا نور الإسلام ويصدّون الناس من أن يُسلِموا، أولئك الذين غضب الله عليهم ووجب على المؤمنين أن يحاربوهم إن لم ينتهوا.

فانظر هذه الدولةَ.. أيُّ فساد توجد● فيها من هذه المفاسد؟ أتمنعنا من صلواتنا وصومنا وحجّنا وإشاعة مذهبنا؟ أو تقاتلنا في ديننا أو تخرجنا من أوطاننا؟ أو يجعل الناس نصارى ظلمًا وجبرا؟

● *سهو، والصحيح: "يوجد". (الناشر)*

كلا.. بل إنها بريئة من كل هذه الإلزامات، بل هي لنا من المُعينين. ثم انظرْ إلى أحكامٍ علّمَنا القرآن للذين أحسنوا إلينا، وراعوا شؤوننا وكفلوا شجوننا، ومانُونا وآوَونا، بعدما كنا تائهين. أيمنعنا ربنا من أن نحسن إلى المحسنين ونشكر المنعمين؟ كلا.. بل القرآن يأمر بالقسط والعدل والإحسان والله يحب المقسطين. وقد قال في القرآن: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾◎، وما قال "ولتكن منكم أُمّةٌ يقتلون الكفار ويُدخلوهم جبرًا في دينهم". وقال جَادِلْهم (أي جادِل النصارى) بالحكمة والموعظة الحسنة، وما قال اقتلوهم بالسيوف والصوارم إلا بعد صدّهم عن سبيل الله ومكرهم لإطفاء نور الإسلام وقيامهم في مقام المعادين، فانظُرْ ما قال ربنا رب العالمين.

وقد بيّنّا لك أن الحرب ليس من أصل مقاصد القرآن ولا من جذر تعليمه، وإنما هو جوّز عند اشتداد الحاجة وبلوغ ظلم الظالمين إلى انتهائه واشتعال جور الجائرين. ولكُمْ أسوة حسنة في غزوات رسول الله ﷺ، كيف صبر على ظلم الكفار إلى مدة يبلغ فيه صبي إلى سن بلوغه، فصبر. وكان الكفار يؤذونه في الليل والنهار. ينهبون أموال المؤمنين كالأشرار، ويقتلون رجالهم ونساءهم بتعذيبات تتحدر بتصورها دموع العيون وتقشعر قلوب الأخيار، وكذلك بلغ الإيذاء إلى انتهائه حتى همّوا بقتل نبي الله، فأمره ربه أن يترك وطنه

◎ *آل عمران:١٠٥*

ويهرب إلى المدينة مهاجرا من مكة، فخرج رسول الله ﷺ من وطنه بإخراج قومه. ومع ذلك ما كان الكفار منتهين، بل لم يزل الفتن منهم تستعِرُّ، ومحجّة الدعوة تَعِرُّ، حتى جلبوا على رسول الله ﷺ خيلَهم ورَجِلَهم، وضربوا خيامهم في ميادين بدر بفوج كثير قريبا من المدينة، وأرادوا استئصال الدين. فاشتعل غضب الله عليهم ورأى قبح جفائهم وشدة اعتدائهم، فنـــزل الوحي على رسوله وقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾☆، فأمر الله رسولَه المظلوم في هذه الآية ليحارب الذين هم بدأوا أول مرة بعد أن رأى شدة اعتدائهم وكمال حقدهم وضلالهم، ورأى أنهم قوم لا يرجى بالمواعظ صلاح أحوالهم.

فانظر كيف كان حرب رسول الله ﷺ. وما حارب نبي الله أعداءَ الدين إلا بعدما رآهم سابقين في الترامي بالسهام والتجالد بالحُسام، وما كان الكفار مقتولين فقط بل كان يسقط من الجانبين قتلى، وكان الكفار ظالمين ضالين*.

فليتدبر في هذا المقام كل عاقل - حفظه الله تعالى عن الحمق وصانه عن السفاهة وسير اللئام - ليظهر عليه حقيقةُ جهاد الإسلام، ولينظُرْ أين أثر الظلم في هذا الجهاد، وأين إيذاء المحسن ذي الإنعام؟ بل كان رأس الإسلام في تلك الأيام معرَّضًا لدوس الأقدام، وقد

☆ *الحج: ٤٠*

* *ربما هو سهو، والصحيح "صائلين"، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)*

وردت على المسلمين مصائب إلى حد يُجري الدموع قصّتُها من المُقْلتين وتشوي القلوب بنار الآلام. فهل مِن منصف ينظرها ويخاف قهر الرب العلام، أم انعدم الإنصاف من قلوب المخالفين؟ هذا هو الحق ولا نخبّئ الحق ولا نستره، والنفاق عندنا أكبر الذنوب، والرياء أخطر الخطوب، ومِن سِيَرِ الظالمين المشركين.

فخلاصة قولنا إن مسألة الغزوة والجهاد ليست محورَ الإسلام وأَسْطَقْسَه كما فهمه الجاهلون المخالفون، أو المتجاهلون من المسلمين، بل وردت في كتاب الله تصريحاتٌ على خلافها كما سمعتَ آياتِ رب العالمين.

وأما العقيدة المشهورة.. أعني قول بعض العلماء أن المسيح الموعود ينـــزل من السماء ويقاتل الكفار ولا يقبل الجزية بل إما القتل وإما الإسلام.. فاعلموا أنها باطلة ومملوءة من أنواع الخطأ والزلّة ومن أمور تخالف نصوص القرآن، وما هي إلا تلبيسات المفترين. يا حسرة عليهم! إنهم أَطْرَأُوا عيسى مِن غير حق حتى قال بعضهم إنه ملَك كريم وليس من نوع الإنسان! وقال بعضهم إن هو إلا كلمة الله وروح الله، وليس في هذه المرتبة شريكا له. وزاد بعضهم عليه حواشي أخرى، وقال هو مخلوق أقرب إلى الله وأفضل من الملائكة، فإن الملائكة لا يُرفَعون إلى العرش وهو مرفوع على العرش لأنه مرفوع إلى الله، فهو أفضل من الملائكة كلهم ومن كل ما خُلِقَ وذُرِئَ. هذا بيان بعض العلماء، وأما صاحب "الإنسان

الكامل" عبدُ الكريم الذي هو من المتصوفين، فبلّغ الأمرَ إلى النهاية، وقال إن التثليث بمعنى حق ولا حرج فيه، وإن عيسى كذا وكذا، بل أشار إلى أنه ليس بمخلوق. ومنهم من اعتدى في كذبه وقال: بسم الله الآب والابن وروح القدس. كذلك أيّدوا الفِرْية ونصروها. وكان الكذب في أول الأمر قليلا، ثم من جاء بعد كاذبٍ ألحقَ بكذبه كذبا آخر، حتى ارتفعت عمارة الكذب، وجُعل ابنُ عجوزةٍ ابنَ الله، وبعد ذلك جُعل إلهَ العالمين، ألا لعنة الله على الكاذبين. إنْ عيسى إلا نبي الله كأنبياء آخرين، وإنْ هو إلا خادم شريعة النبي المعصوم الذي حرّم الله عليه المراضع حتى أقبلَ على ثدي أُمّه، وكلّمه ربُّه على طور سينين وجعله من المحبوبين. هذا هو موسى✱ فتَى الله، الذي أشار الله في كتابه إلى حياته، وفرض علينا أن نؤمن بأنه حيٌّ في السماء ولم يمت وليس من الميتين◈.

✱ **الفائدة:** كلّم اللهُ موسى على جبل وكلّم الشيطانُ عيسى على جبل، فانظر الفرق بينهما إن كنت من الناظرين. منه

◈ *قد أوضح المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في كتابه "حمامة البشرى" فقال: "أعيسى حيٌّ ومات المصطفى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! اعدلوا هو أقرب للتقوى. وإذا ثبت أن الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأيّ خصوصية ثابتة لحياة المسيح؟ أهو يأكل ويشرب، وهم لا يأكلون ولا يشربون؟ بل حياة كليم الله ثابت بنص القرآن الكريم.. ألا تقرأ في القرآن ما قال الله تعالى عز وجل: ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾. وأنت تعلم أن هذه الآية نزلت في موسى، فهي دليل صريح على حياة موسى عليه السلام، لأنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام. (الناشر)*

وأما نـــزول عيسى من السماء فقد أثبتنا بطلانه في كتابنا "الحمامة"، وخلاصته أنّا لا نجد في القرآن شيئا في هذا الباب من غير خبر وفاته الذي نجدها◈ في مقامات كثيرة من الفرقان الحميد. نعَمْ جاء لفظ النـــزول في بعض الأحاديث، ولكنه لفظ قد كثر استعماله في لسان العرب على نـــزول المسافرين إذا نـــزلوا من بلدة ببلدة أو من مُلك بملك متغربين. والنـــزيل هو المسافر كما لا يخفى على العالمين.

وأما لفظ التوفي الذي يوجد في القرآن في حق المسيح وغيره من بني آدم فلا سبيل فيه إلى تآويل أخرى بغير الإماتة، وأخذنا معناه من النبي ومن أجلّ الصحابة لا مِن عند أنفسنا. وأنت تعلم أن الإماتة أمر ثابت دائم داخل في سنن الله القديمة، وما من رسول إلا تُوُفّي وقد خلتْ من قبل عيسى الرسلُ. فإذا تعارض لفظ التوفي ولفظ النـــزول.. فإن سلّمنا وفرضنا صحة الحديث فلا بد لنا أن نؤوّل لفظ النـــزول، فإنه ليس بموضوع لنـــزول رجل من السماء، بل وُضع لنـــزول مسافر من أرض بأرض، فما كان لنا أن نترك معنى وُضع له هذا اللفظ في لسان العرب ونردّ بيناتِ القرآن. وما نجد ذكر السماء في حديث صحيح، وما نجد نظير النـــزول في أمم

◈ *سهو، والصحيح: "نجده". (الناشر)*

أولى*، بل يثبت خلافه في قصة يوحنا. فلا شك أن هذه العقيدة.. أعني عقيدة نـــزول المسيح من السماء.. مبتلاة بأمراض لا بمرض واحد يخالف بينات القرآن، ويكذّب أمر ختم النبوة، ويباين محاورات القوم، ويخالف الآثار التي صرحت فيها موت المسيح. فتَفكّروا أيها الناس إن كنتم من المتفكرين.

وأما الشق الثاني.. أعني محاربات المسيح الموعود بعد النـــزول، كما هو زعم بعض الناس الذي ما كان إلا كالغبي الجهول، فهو ليس مذهبنا، بل عندنا هو خيال باطل لا يصلح للقبول، وبعيد عن الحق واليقين وداخلٌ في نمط الفضول. وكفى لبطلانه الحديثُ الذي موجود في البخاري.. أعني "يضع الحربَ"، يعني لا يقاتل المسيحُ الموعود ولا يحارب، بل يفعل كل ما يفعل بالنظر والهمة، ويجعل اللهُ في نظره تأثيرات عجيبة، وفي أنفاسه بركات غريبة، ويجعل في فهمه وعقله قوة السيف والسنان، ويعطي له بيانا مملُوًّا من البرهان، وحججًا قاطعة لِعُذْرات أهل الطغيان. فهذه هي الحربة السماوية التي ما صنعها أيدي الإنسان، بل أُعطيتْ من يد الله الرحمن، ونـــزلت من السماء لا من أعمال أهل الأرضين.

فالحاصل أن اعتقادنا هو هذا، لا كما فهِم الواشي الغبيّ والنمّام الدنيّ، فإنه خطأٌ فاحش عندنا، ونخطّئ قائلَ تلك الأقوال، وقد أخطأ

* **الفائدة:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، ولكنا لا نجد ذكر صعود عيسى وذكر نـــزوله في التوراة، ولا مثالا يُشابهه. وإن التوراة إمامٌ لِذِكر الأمثلة كلها، ولأجل ذلك سماه الله إمامًا في كتاب مبين. منه

من قال ووقع في ضلال مبين. فالحق الذي أرانا الحقُّ الحكيمُ وأنبأنا اللطيف العليم، هو أن حربة المسيح الموعود سماوية لا أرضية، ومحارباته كلها بأنظار روحانية، لا بأسلحة جسمانية، وهو يقتل الأعداء بعقد النظر والهمة، أعني بتصرف الباطن وإتمام الحجة، لا بالسهام والرماح والمَشْرَفيّة، وله ملكوت السماء لا ملكوت الأرضين. وأما الذين ينتظرون مسيحا يأتي بالجنود ويخرج كالأسود، ويقتل كل من لم يؤمن من الكافرين، وينـــزل كصاعقة محرقة من السماء، ولا يكون له شغل مِن غير سفك الدماء، ويكون حريصا على قتل نفس ولو كان خنـــزيرا، ويأخذ السيف البتّار قبل أن يتمّ حجّته على المنكرين، فنحن لسنا منهم ولا نعرف ذلك المسيح ولا نعلم ولا ندري أثرا من تلك الأباطيل في كتاب الله المبين. فلا نقبل هذه العقيدة أبدًا، ولسنا من الذين يقرّون به مقلّدين كالعمين.

فالحاصل أنه ليس من عقائدنا، بل إنما هو من عقائد شيخ بطالوي صاحبِ "الإشاعة" مضلِّ الجماعة، أعني محمد حسين وأمثاله الذين هُمْ فُلاّحَ تلك الزراعة. فالملخص أن هذا المسلك من مساعيهم التي يسعون، وآرائهم التي ترون، وأنهم قد رسوا عليه وليسوا بالمنتهين الراجعين، بل يخبرون عنه على المنابر ويذكرونه مُتباشِرين. ومِن أعظم مُنْيتهم النفسانية أن يجيء مسيحهم الموهوم كالمليك الجبّار، ويقتل كلَّ من في الأرض من الكفار، ويجمع غنائم كثيرة قنطارا على القنطار، ثم يجعل البطالويَّ وإخوانه من المتمولين.

وأما نحن فلا نعتقد كذلك، بل نعلم أنهم أخطأوا في هذه الآراء، وأجنّهم الليل وبعدوا عن الضياء، فما فهموا وما مسّوا مسلك المتبصرين، وما سُقوا من المعارف النبوية والأسرار الإلهية، بل أكلوا فُضلاتِ قومٍ ضلوا من قبل ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ورضوا بأقوال الختّارين.

وكان سرّ هذه العقيدة من أدقّ المسائل وأصعبها، فما فهِمه آراءٌ سطحية وعقول ناقصة، واختاروا طرقًا دون ذلك مستعجلين. فتمَّ ما جاء في "فَيْجٍ أعوَجَ" مِن أصدقِ الصادقين، وإن في هذا برهانا للمتفكرين. ثم تفضّلَ الله علينا وكشف هذا السر فضلا ورحما وهو أرحم الراحمين. يرقّي من يشاء، ويحطّ من يشاء، ويجعل من يشاء من العارفين. وعلِمنا بتعليمه وفهِمنا بتفهيمه وأُيِّدْنا بتكريمه وهو خير المؤيّدين. وألهمَنا أن الحرب حرب روحاني بنظر روحاني. وأعجبني أنهم يقرّون أن عيسى لا يقاتل يأجوج ومأجوج، بل يدعو عليهم عند اشتداد المصائب وهجوم الأعداء كالسهم الصائب، وكذلك يقرأون لفظ النظر في كتب الأحاديث ثم ينسونه ولا يتدبرون كالعاقلين. ختم الله على قلوبهم، فلا يفهمون دقيقة من دقائق المعرفة، ولا نكتة من نكات الحكمة، بل نرى أن ذهنهم مزمهرّ، ودَجْنُه مكفهرّ، فلا يستشفّون لآلئَ الحقائق، ولا يُمعِنون في الدقائق، ويسبَحون على سطح الألفاظ، وليسوا في بحر المعاني غوّاصين. ومن

يفهّم رجلاً ما فهّمه اللهُ؟! ومن لم يهده الله فكيف يكون من المهتدين؟!

هذه هي العقيدة التي أشهرناها في كتبنا غير مرة، ولأجل ذلك كُفّرنا وأُوذينا وكُذّبنا وأُفْردنا كالذي يُترك في البوادي والفلوات منفردا، فنحن في هذه الأوان كغريب في خان، لا كشَغِبٍ في حماية إخوان. لا نريد الرياسة بل آثرنا الخصاصة، ونبذنا فروةَ إمارة، ورضينا بعباءةِ فقرٍ وما بالَيْنا طَعْنَ نظّارةٍ، ولا لومَ اللائمين. فلا تُبادِرْ يا لاهِسَ كأسِ قسيسين إلى ظن السوء، ولا تنفُضْ مِذْرَوَيْك، فإنّ أمرنا متبين واضح وليس شيء في يديك، ولست من الحاكمين. فإن كنت تشتاق أن تستقري طرق النميمة، فاعلم أنك خائب ولا يحصل لك شيء من غير ظهور سِيَرِك الذميمة، ولا تقدر أن تُخفي ما أبداه ربنا، ولا تضرّ مَن حفظه الله وهو خير الحافظين. فأَعرِضْ عنها واشتغِلْ بنضرة دنياك وخضرتها، واصطبِحْ واغتبِقْ وافرَحْ على جيفتها، ولا تدخُلْ فيما لستَ أهله، ولا تغضب ولا تشتعل، فإن مقت الله أكبر من مقتك، وإن ناره تحرق الظالمين.

والعجب أن أكابر المسيحيين خُدعوا فيك، وما عرفوك حق المعرفة إلى هذا الوقت، وعجزوا عن فَضِّ سرِّك وكشفِ دعواك وإدراكِ عمقك، وأكلتَهم كالخادعين. يا حسرة عليهم! لِم يضيّعون أمواهم على أمثالك، و لم لا يرجعون إلى اليقظة بعد التجارب المؤلمة، و لم لا يعرفون البطّالين؟

وأما قولك أن قسّيسي هذا الزمان ليسوا دجّالاً معهودًا، فهذا دجلك الأكبر. وسألت عني دليلا عليه فاعلم أن هذا ليس قولي بل قاله المسيح من قبلي، فانظر في إنجيل لوقا في الإصحاح الثالث◉ من آية ٢٤ إلى ٣٠، فستجد ما قلنا بمزاياه وهو هذا يا عدو الطيبين:

"فقال لهم اجتهِدوا أن تدخلوا من الباب الضيق، فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون مِن بعدما يكون رب البيت قد قام وأغلق البابَ. وابتدأتم تقِفون خارجا وتقرعون الباب قائلين: يا رب، يا رب، افتحْ لنا. يجيب ويقول لكم: لا أعرفكم مِن أين أنتم. حينئذ تبتدئون تقولون: أكَلْنا قدّامك، وعلّمتَ في شوارعنا. فيقول: أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم، تباعَدوا عني يا جميع فاعلي الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال ومن الجنوب ويتّكئون في ملكوت الله، وهو ذا آخرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين".

هذا ما كتبنا من كتابكم إنجيل لوقا بعبارته العربية، وما زدنا وما نقصنا بل رقمنا كما هو هو كالناقلين. وللمستنكرين المستعرفين أن يرجعوا إلى ذلك الكتاب إن كانوا من المرتابين.

◉ *سهو، والصحيح: "الثالث عشر". (الناشر)*

فلا تضرِبْ عنه صفحًا ولا يلفَحْك الحقدُ لفحًا، وفكِّرْ كالمنصفِين. وانظر أن المسيح سماكم في هذه الآية "فاعلي الظلم"، وقال أُعرِض عنكم في يوم القيامة وأتصدى بالصدود وأقول لستم مني ولا من هذا الجنود، فاخسأوا يا معشر الظالمين الكافرين. وأشار إلى أنكم لبَستم الحق بالباطل وتركتم أمره وكنتم قومًا دجّالين. وأنت تعلم أن حقيقة الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه عمدًا وبالإرادة لينتقب وجهُ المحجّة ويُسَدّ طريق الاستفادة ويلتبس الأمر على السالكين. فالظالم هو الذي يحلّ محلّ المحرّفين ويبدّل العبارات كالخائنين، ويجترئ على الزيادة في موضع التقليل والتقليل في موضع الزيادة كَيْفًا وكَمًّا، أو ينقل الكلمات من معنى إلى معنى ظلمًا وزورًا مِن غير وجودِ قرينة صارفة إليه، ثم يأخذ يدعو الناسَ إلى مفترياته كالخادعين. وما معنى الدجل والدجالة إلا هذا، فليفكّر من كان من المفكّرين.

وأُلقِيَ في روعي أن المسيح سمى الآخرين من النصارى الدجالين لا الأولين، وإن كان الأولون أيضا داخلين في الضالّين المحرّفين. والسر في ذلك أن الأولين ما كانوا مجتهدين ساعين لإضلال الخَلق كمثل الآخرين، بل ما كانوا عليها قادرين. وكانوا كرجل مصفَّد في السلاسل ومقرَّن في الحبال وكالمسجونين. وأما الذين جاءوا بعدهم في زماننا هذا ففاقوا أسلافهم في الدجل والكذب، ووضَع الله عنهم أياصرهم وأغلالهم، ونجّاهم عن السلاسل التي كانت في

أرجلهم ابتلاءً من عنده، وكان قدرًا مقضيًّا من رب العالمين. وكان قدرُ الله أن يبرزوا بعد ألف سنة من الهجرة حتى ظهروا في هذه الأيام كغُولٍ خُلِّصَ وأُخرِجَ من السجن، ثم استوى على راحلته لاويًا إلى زافرته وحزبٍ خُلقوا على شاكلته، وكانوا لقبوله مستعدّين. ثم أشاعوا كيف شاءوا من أنواع الكفر وأصناف الوسواس وكانوا قوما متموّلين. وهذا هو الذي كُتِبَ في الصحف الأولى.. أن الثعبان الذي هو الدجال يلبث في السجن إلى ألف سنة ثم يخرج بفوج من الشياطين، فليتذكر من كان من المتذكرين. كذلك خُلِّصوا بعد الألف وتناسَوا ذمام الله ونكثوا عهوده وأحفظوا ربهم مجترئين. وجمعوا كل جهدهم لإضلال الناس، واستجدّوا المكائد كالخنّاس، وجاءوا بسحر مبين. وأضاعوا التقوى والعمل الصالح، واتّكأوا على كَفّارة لا أصل لها، واتبعوا كل إثم واستعذبوا كل عذاب، وكذّبوا المقدسين. وتجنَّوا وقالوا نحن عباد المسيح وأحباؤه، وهيهات أن تُراجع الفاسقين مِقَةُ الصالحين. وقد سمعتَ آنفًا أن المسيح سماهم فاعلي الظلم، وسمعت أن الظلم والدجل شيء واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿آتَتْ أُكُلَها ولم تَظْلِمْ منه شيئًا﴾✪، أي لم تنقص، وإطلاق الظلم على النقص الذي كان في غير محله أو الزيادة التي ليست في موضعها أمرٌ شائع متعارف في القوم، وهذا هو الدجل كما لا يخفى على المتبصرين.

✪ الكهف: ٣٤

فلا شك أن قسّيسي هذا الزمان دجّالون كذّابون يُهلكون عوامّ الناس من نفثاتٍ فيهم، وكلِّ نوعٍ خداعٍ فيهم. الخَتْر يلمع من جبهتم، والتلبيس من صورهم، ولا نجد في مكايدهم ودجلهم نظيرهم في تصاريف الزمان، ولا مثيلَهم في نوع الإنسان. يقتحمون الأخطار ليُضلّوا الديار، ويبذلون المال للذي رغب إلى دينهم ومال، وتجدهم في كل تلبيس وسيع المورد، وفي كل خداع مبسوطة* اليد، وتجدهم في كل كيد ماهرين. وكما أن المسيح يسميهم الدجالين فاعلي الظلم كذلك القرآن سماهم دجالين، وقال: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾✹ يعني لم لا تتجافون عن الاشتطاط في تحريف كلمات الله وأنتم تعلمون أن الصدق وسيلة الفلاح والكذب من آثار الطلاح؛ وفي التزام الحق نباهة وفي اختيار الزور عاهة، فإياكم وطرقَ الكذّابين. فأشار الله في هذا أن علماء النصارى هم الدجالون المفسدون أعداء الحق وأهله. نسوا ظلمة الرمس فلا يذكرون ما ثَمَّ، وحبُّ الشهوات فيهم عَمَّ وتَمَّ وغاب أثر الدين. وأُشرِبَ حسّي ونَبَّأَني حدسي أنهم لا يمتنعون ولا ينتهون حتى يروا مثلَ سننِ الله التي خلت من قبل، ويروا أبا غمرة، الذي يُضرِم في الأحشاء الجمرةَ، ويكونوا كجريحٍ نُوِّبَ متألمين.

---

* *سهو، والصحيح: "مبسوط". (الناشر)*

✹ *آل عمران: ٧٢*

فحاصل الكلام أنهم الدجال المعهود وأنا المسيح الموعود. وهذا فيصلة اتفق عليها القرآن والإنجيل، وأكّدها الرب الجليل، فما لكم لا تقبلون فيصلةً اتفق عليها حكمين عدلين◈. أتفرّون من الأمر الواضح وتَعرِضون عِرضكم للمفاضِح، وتُعرِضون عن نصاحة الناصح، وتسبّون مشتعلين؟ ما لكم لا تتنبهون على هذا ولا تخافون، ولا تدمع أجفانكم ولا يبدأ رجفانكم ولا تتوبون متندمين؟ ألا ترون أنكم أغربتم وشذذتم في هذه العقائد، وتركتم الأصل وتمايلتم على الزوائد، وخالفتم الأولين والآخرين؟ لِم لا تسمعون قول الداعي ولا تتبعون الراعي، بل تلدغون كالأفاعي، وتثِبون كالذئب الساعي، وتمشون صُمًّا بكمًا عميًا متكبرين مغرورين؟ وإنما مثلنا في دعوتكم كمثل الذي يحاور عجماءَ أو ينادي صخرةً صمّاءَ أو يكلّم الميّتين. يا حسرة وآهًا على هؤلاء المتنصرين! كيف يعرضون عن الحق الصريح، ويضطجعون ضِجْعَةَ المستريح، ويتركون ذيل الصبيح المليح، ويميلون إلى الشنيع القبيح، ويأبون الله مغمطين. نبذوا أمره نَبْذَ الحذاء المرقّع، وكفروا بالكتاب الموقّع مجترئين.

◈ *سهو، والصحيح: "حكمان عدلان" . (الناشر)*